# دُرر من

# تفسير الطبري

جمع وإعداد

إبراهيم محمد اليافعي

درر من
تفسير الطبري

لكل مسلم حق طبع هذا الكتاب دون تغيير

الطبعة الأولى

١٤٤٣هـ - ٢٠٢٢م

درر من

# تفسير الطبري

تأليف

إبراهيم محمد اليافعي

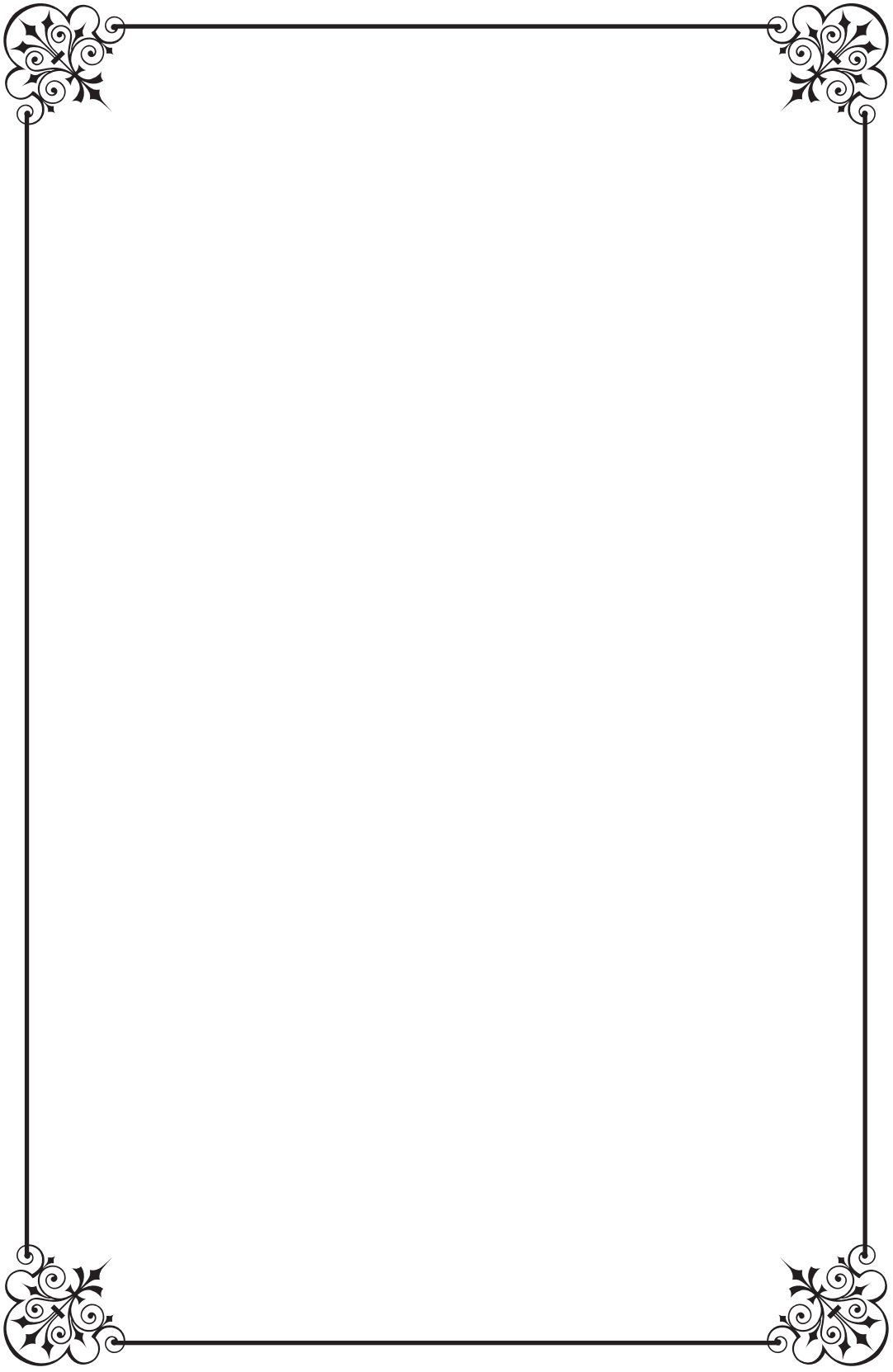

قال الإمام الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

**إني لأعجب لمن يقرأ القرآن،**

**كيف يلتذُّ به ولم يفهم معناه!**

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

## المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين، **وبعد:**

فبين يديك -أيها القارئ- ستُّون درَّة جمعتها لك من تفسير الإمام الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ المسمَّى **(جامع البيان في تأويل القرآن)**. وهذه الدرر والفوائد في العقيدة والأخلاق وسائر العبادات والمعاملات... وغيرها.

ولما كان الكثير من الناس لا يطلعون على هذه الكتب -ومنها تفسير الطبري- ولا يعرفون قيمة ما فيها من الفوائد والدروس...؛ انتقيت من هذا الكتاب هذه الدرر والفوائد في كتاب يكون في متناول الجميع؛ لتعم فائدتها، ويسهل على الجميع الاطلاع عليها.

انتقيت من هذا الكتاب حسب ما رأيت فيه النفع والفائدة، ولا أدعي أنني جمعت كل الدرر؛ فقد يأتي بعدي من يطلع على تفسير الطبري؛ ليستخرج أضعاف ما استخرجته.

قال الإمام الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إني لأعجب لمن يقرأ القرآن، كيف يلتذُّ به ولم يفهم معناه!».

### منهجي وعملي في هذا الكتاب:

١- لم أذكر من الفوائد إلا ما يراه الطبري أنه الصحيح في تفسير الآية وتركت الروايات التي يذكرها في تفسير الآيات؛ لاختلاف أراء الصحابة

والتابعين في تفسير معنى الآية وكثرة إيراد الطبري للروايات؛ حيث نقل في تفسيره أكثر من ثمانٍ وثلاثين ألف رواية فلم أنقل أي رواية منها؛ لأن الهدف من الكتاب هو جمع الفوائد بأسلوب سهل مختصر وليس التطويل.

فمثلًا، ذكر الطبري قريبًا من ستين حديثًا وأثرًا حول اختلاف الصحابة والتابعين في قوله تعالى: ﴿أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ [النساء:٤٣]، وغير ذلك في كل تفسير الطبري؛ لذلك نقلت الفوائد التي من كلام الطبري حول الآية ولم أنقل ما نقله عن غيره؛ لأن الطبري انتهج في تفسيره نهج جمع وحشد الروايات حول الآية سواء وافق أقوالهم أم لم يوافق؛ فهو كتاب حشد فيه الروايات؛ ولكنه كان ينهج أحد منهجين:

**الأول:** قبل حشد الروايات كان يفسر الآية، ثم يذكر الأقوال حولها.

**الآخر:** بعد عرض الأقوال والروايات كان أحيانًا يذكر الراجح وما رأى أن الأرجح والأَولى بتفسير الآية؛ وكنت أجمع من الدرر والفوائد من هاتين الطريقتين؛ إما من خلال المنهجية الأولى أو الأخرى.

**إبراهيم محمد اليافعي**

**رمضان ١٤٤٣هـ**

**اليمن - يافع - المفلحي**

**اتصال وواتساب/ ٠٠٩٦٧٧٣٩٨٠٢١٥٣**

## من هو ابن جرير الطبري؟

هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الشهير بالإمام المفسر أبو جعفر الطبري.

### مولده ونشأته:

وُلِد الطبري عام ٢٢٤ هـ في طبَرِستان في مدينة آمل (إحدى مدن إيران حاليًا)، ونشأ الطبري بآمل، وتربى في أحضان والده وغمره برعايته، وتفرَّس فيه النباهة والذكاء والرغبة في العلم، فتولى العناية به ووجَّهه منذ الطفولة إلى حفظ القرآن الكريم، وخاصةً أن والده رأى رؤيا تفاءل بها خيرًا عند تأويلها.

فقد رأى أبوه رؤيا في منامه أن ابنه واقف بين يدي الرسول ومعه كيس مملوء بالأحجار، وهو يرمي بين يدي رسول الله، وقصَّ الأب على مُعَبّر رؤياه، فقال له: إن ابنك إن كبر نصح في دينه، وذبَّ عن شريعة ربه. ويظهر أن الوالد أخبر ولده بهذه الرؤيا وقصها عليه عدة مرات؛ فكانت حافزًا له على طلب العلم والجد والاجتهاد فيه والاستزادة منه، والانكباب على تحصيله ثم العمل به، والتأليف فيه؛ ليدافع عن الحق والدين. وظهرت على الطبري في طفولته سمات النبوغ الفكري، وبدت عليه مخايل التفتح الحاد والذكاء الخارق والعقل المتقد، والملكات الممتازة، وأدرك والده ذلك فعمل على تنميتها وحرص على الإفادة والاستفادة منها؛ فوجَّهه إلى العلماء ومعاهد الدراسة، وساعده على استغلال كل هذه الطاقات دون أن يشغله بشيء

من شئون الحياة ومطالبها، وخصص له المال للإنفاق على العلم والتعلم، وسرعان ما حقق الطبري أحلام والده، وزاد له في آماله وطموحه. وقد حرص والده على إعانته على طلب العلم منذ صباه، ودفعه إلى تحصيله، فما كاد الصبي الصغير يبلغ السن التي تؤهله للتعليم، حتى قدمه والده إلى علماء مدينته. وسرعان ما تفتَّح عقله، وبدت عليه مخايل النبوغ والاجتهاد، حتى قال عن نفسه: حفظت القرآن ولي سبع سنين، وصليت بالناس وأنا ابن ثماني سنين، وكتبت الحديث وأنا في التاسعة.

### النبوغ والذكاء:

كان الطبري موهوب الغرائز، وقد كان ذو ذكاء خارق، وعقل متقد، وذهن حاد، وحافظة نادرة، وهذا ما لاحظه فيه والده، فحرص على توجيهه إلى طلب العلم وهو صبي صغير، وخصص له موارد بستانه لينفقها على دراسته وسفره وتفرغه للعلم.

### ورع الطبري وزهده:

كان الطبري على جانبٍ كبير من الورع والزهد والحذر من الحرام، والبُعد عن مواطن الشُّبَه، واجتناب محارم الله تعالى، والخوف منه، والاقتصار في المعيشة على ما يَرِدُهُ من ناتج أرضه وبستانه الذي خلَّفه له والده.

قال ابن كثير: «وكان من العبادة والزهادة والورع والقيام في الحق لا تأخذه في ذلك لومة لائم، وكان من كبار الصالحين».

وكان الطبري زاهدًا في الدنيا، غير مكترث بمتاعها ومفاتنها، وكان يكتفي بقليل القليل أثناء طلبه للعلم، ويمتنع عن قبول عطايا الملوك والحكام والأمراء.

### عفة الطبري وإباؤه:

كان الطبري عفيف اللسان، يحفظه عن كل إيذاء، وكان متوقّفًا عن الأخلاق التي لا تليق بأهل العلم ولا يؤثرها إلى أن مات، ولما كان يناظر مرة داود بن علي الظاهري في مسألة، فوقف الكلام على داود، فشق ذلك على أصحابه، فقام رجل منهم، وتكلم بكلمة مؤلمة وموجعة لأبي جعفر، فأعرض عنه، ولم يرد عليه، وترفَّع عن جوابه، وقام من المجلس.

وكان الطبري عفيف النفس أكثر من ذلك، فهو مع زهده لا يسأل أحدًا، مهما ضاقت به النوائب، ويعفُّ عن أموال الناس، ويترفع عن العطايا.

### تواضع الطبري وعفوه:

كان الطبري شديد التواضع لأصحابه وزواره وطلابه، دون أن يتكبر بمكانته، أو يتعالى بعلمه، أو يتعاظم على غيره، وكان لا يحمل الحقد والضغينة لأحد، وله نفس راضية، يتجاوز عمن أخطأ في حقه، ويعفو عمن أساء إليه.

وكان محمد بن داود الظاهري قد اتهم الطبري بالأباطيل، وشنَّع عليه، وأخذ بالرد عليه؛ لأن الطبري ناظر والده، وفنَّد حججه، وردَّ آراءه، فلما التقى الطبري مع محمد بن داود تجاوز عن كل ذلك، وأثنى على علم أبيه، حتى وقف الولد عن تجاوز الحد، وإشاعة التهم على الطبري.

ومع كل هذا التواضع، وسماحة النفس، والعفو والصفح، كان الطبري لا يسكت على باطل، ولا يمالئ في حق، ولا يساوم في عقيدة أو مبدأ؛

فكان يقول الحق، ولا تأخذه في الله لومة لائم، شجاع القلب، جريئًا في إعلان الصواب مهما لحق به من أذى الجهال، ومضايقة الحساد، وتخرصات الحاقدين.

**محنته:**

تعرض الطبري لمحنة شديدة في أواخر حياته بسبب التعصب المذهبي، فلقد وقعت ضغائن ومشاحنات بين ابن جرير الطبري ورأس الحنابلة في بغداد أبي بكر بن داود أفضت إلى اضطهاد الحنابلة لابن جرير، وكان المذهب الحنبلي في هذه الفترة هو المسيطر على العراق عامةً وبغدادَ خاصةً، وتعصب العوامّ على ابن جرير؛ حتى منعوا الناس من الاجتماع به، وظل ابن جرير محاصرًا في بيته حتى تُوفّي.

**مؤلفاته:**

١- تفسير الطبري، المسمى (جامع البيان في تأويل القرآن).
٢- تاريخ الطبري، المسمى (تاريخ الأمم والملوك).
٣- آداب النفس الجيدة والأخلاق النفيسة.
٤- اختلاف علماء الأمصار في أحكام شرائع الإسلام.
٥- صريح السنة (يوضح فيه مذهبه وعقيدته).
٦- الفصل بين القراءات.
٧- آداب القضاة.
٨- آداب النفوس.
٩- آداب المناسك.

١٠- تهذيب الآثار.

١١- فضائل أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

١٢- ذيل المذيل.

**وفاتـــه:**

توفي الطبري في بغداد وقت المغرب عشية يوم الأحد ٢٦ من شهر شوال سنة ٣١٠هـ، وعاش الطبري في محراب العلم والعمل حتى جاءته الوفاة. قال ابن كثير: توفي الطبري عن عمر ناهز الثمانين بخمس سنين.

# سُورَةُ الفَاتِحَةُ

**ومنها جمعت هذه الدرر:**

**★الأولى:** ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١﴾.

إن الله تعالى ذكره وتقدست أسماؤه أدَّب نبيه محمدًا بتعليمه تقديم ذكر أسمائه الحسنى أمام جميع أفعاله، وتقدم إليه في وصفه بها قبل جميع مهماته، وجعل ما أدَّبه به من ذلك وعلمه إياه منه لجميع خلقه سنة يستنُّون بها، وسبيلًا يتَّبعونه عليها في افتتاح أوائل منطقهم، وصدور رسائلهم، وكتبهم وحاجاتهم.

**★الثانية:** ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾.

الشكر خالصًا لله جل ثناؤه دون سائر ما يُعبد من دونه، ودون كلّ ما [خلق] من خلقه، بما أنعم على عباده من النّعم التي لا يُحصيها العدد، ولا يحيط بعددها غيره أحدٌ، في تصحيح الآلات لطاعته، وتمكين جوارح أجسام المكلَّفين لأداء فرائضه، مع ما بسط لهم في دنياهم من الرزق، وَغذَاهم به من نعيم العيش، من غير استحقاق منهم لذلك عليه، ومع ما نبَّههم عليه ودعاهم إليه، من الأسباب المؤدّية إلى دوام الخلود في دار المُقام في النعيم المقيم. فلربّنا الحمدُ على ذلك كله أولًا وآخرًا.

## ★الثالثة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾.

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾: لك اللهم نخشعُ ونَذِلُّ ونستكين، إقرارًا لك يا ربنا بالرُّبوبية لا لغيرك، وإياكَ نُوحّد ونخاف ونرجو يا ربنا لا غيرك.

﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾: إياك نستَعِينُ على طاعتك وعلى أمورنا كلها.

## ★الرابعة: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾.

[في الآية] مَسألةُ العبد ربَّه التوفيقَ للثبات على العمل بطاعته، وإصابة الحق والصواب فيما أمَره به ونهاه عنه.

[ومعاني هذه الآية]: اللهمّ إياك نعبدُ وحدك لا شريك لك، مخلصين لك العبادة دون ما سِواك من الآلهة والأوثان، فأعِنَّا على عبادتك، ووفّقنا لما وفَّقت له من أنعمت عليه من أنبيائك وأهل طاعتك، من السبيل والمنهاج.

# سُورَةُ البَقَرَةِ

**ومنها جمعت هذه الدرر:**

**★الأولى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤﴾.**

السورة من أولها -وإن كانت الآيات التي في أولها في نعت المؤمنين- تعريض من الله عَزَّوَجَلَّ بذم كفار أهل الكتاب، الذين زعموا أنهم مصدقون بما جاءت به رسل الله عَزَّوَجَلَّ الذين كانوا قبل محمد صلوات الله عليهم وعليه، وهم بمحمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ مكذبون، ولِمَا جاء به من التنـزيل جاحدون، ويدَّعون مع جحودهم ذلك أنهم مهتدون، وأنه لن يدخل الجنة إلا من كان هودًا أو نصارى؛ فأكذب الله قولهم ذلك بقوله: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾.

وأخبر جل ثناؤه عباده: أن هذا الكتاب هدى لأهل الإيمان بمحمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وبما جاء به، المصدقين بما أنـزل إليه وإلى من قبله من رسله من البينات والهدى خاصة، دون من كذَّب بمحمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وبما جاء به، وادَّعى أنه مصدق بمن قبل محمد عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ من الرسل وبما جاء به من الكتب.

ثم أكَّد جل ثناؤه أمر المؤمنين من العرب ومن أهل الكتاب المصدقين بمحمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وبما أنـزل إليه وإلى من قبله من الرسل بقوله: ﴿أُولَٰٓئِكَ

عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾؛ فأخبر أنهم هم أهل الهدى والفلاح خاصة دون غيرهم، وأن غيرهم هم أهل الضلال والخسار.

★الثانية: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾﴾.

إنما أخبر الله تعالى نبيه محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الذين كفروا به من أحبار اليهود أنه قد خَتَم على قلوبهم وطَبَع عليها فلا يعقلون لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ موعظةً وَعَظَهم بها فيما آتاهم من علم ما عندهم من كُتبِه، وفيما حدَّد في كتابه الذي أوحاه وأنزله إلى نبيّه محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلى سمعهم، فلا يسمَعُون من محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نبيّ الله تحذيرًا ولا تذكيرًا ولا حجةً أقامها عليهم بنبوَّته، فيتذكَّروا ويحذروا عقاب الله عَزَّوَجَلَّ في تكذيبهم إياه، مع علمهم بصدقه وصحّة أمره. وأعْلَمَه مع ذلك أنّ على أبصارهم غشاوةً عن أن يُبصروا سبيل الهُدَى، فيعلموا قُبْحَ ما هم عليه من الضلالة والرَّدَى.

★الثالثة: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾﴾.

مثلُ استضاءَة المنافقين بما أظهروا بألسنتهم لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الإقرار به، وقولهم له وللمؤمنين: آمنَّا بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر، حتى حُكم لهم بذلك في عاجل الدنيا بحكم المسلمين؛ في حقن الدماء والأموال وفي المناكحة والموارثة؛ كمثل استضاءة الموقِد النار بالنار، حتى إذا [فرح]

بضيائها، وأبصر ما حوله مُستضيئًا بنوره من الظُّلمة؛ خمدت النار وانطفأت؛ فذهب نورُه، وعاد المستضيء به في ظلمة وحيرة.

وذلك أن المنافق لم يزل مستضيئًا بضوء القول الذي دافع عن [نفسه] في حياته من القتل [وغيره]، مع استبطانه ما كان مستوجبًا به القتل وسلب المال لو أظهره بلسانه - تُخيّل إليه بذلك نفْسُه أنه بالله ورسوله والمؤمنين مستهزئ مخادِع، حتى سوّلت له نفسُه -إذْ وَرَد على ربه في الآخرة- أنه ناجٍ منه بمثل الذي نجا به في الدنيا من الكذب والنفاق.

ألا تسمع قول الله جل ثناؤه إذْ أخبر خبرهم عند ورودهم عليه: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾ [المجادلة:١٨]؛ ظنًّا من القوم أن نجاتهم من عذاب الله في الآخرة، في مثل الذي كان به نجاتهم من القتل والأسر وسلب المال في الدنيا من الكذب والإفك، وأنّ خداعهم نافعُهم هنالك نفعَه إياهم في الدنيا، حتى عايَنوا من أمر الله ما أيقنوا به أنهم كانوا من ظنونهم في غرور وضلال، واستهزاء بأنفسهم وخداع، إذْ أطفأ الله نورَهم يوم القيامة.

★الرابعة: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾﴾

وهذا من الله عَزَّوَجَلَّ احتجاجٌ لنبيه محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ على مشركي قومه من العرب ومنافقيهم، وكفار أهل الكتاب وضُلَّالهم، الذين افتتح بقصَصهم قولَه جل ثناؤه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾ [البقرة:٦].

حيث يقول الله جلّ ثناؤه: وإن كنتم أيها المشركون من العرب والكفار من أهل الكتابين، في شكّ مما نـزّلنا على عبدنا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من النور والبرهان وآيات الفرقان: أنه من عندي، وأنّي الذي أنـزلته إليه؛ فلم تُؤمنوا به ولم تصدّقوه فيما يقول؛ فأتوا بحجة تدفع حُجته، لأنكم تعلمون أن حجةَ كلّ ذي نبوّة على صدقه في دعوَاه النبوة: أن يأتي ببرهان يَعجز عن أن يأتيَ بمثله جَميعُ الخلق. ومن حجة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على صدقه، وبُرْهانه على حقيقة نبوته، وأنّ ما جاء به من عندي -عَجزُ جميعكم وجميع من تستعينون به من أعوانكم وأنصاركم، عن أن تَأتوا بسورةٍ من مثله. وإذا عَجزتم عن ذلك- وأنتم أهل البراعة في الفصاحة والبلاغة، فقد علمتم أن غيركم عما عَجزتم عنه من ذلك أعْجز. كما كان برهان من سلف من رسلي وأنبيائي على صدْقه، وحُجَّته على نبوته من الآيات، ما يَعجز عن الإتيان بمثله جميعُ خلقي؛ فيتقرر حينئذ عندكم أنّ محمدًا لم يتقوَّلْه ولم يختلقْه، لأنَّ ذلك لو كان منه اختلافًا وتقوُّلًا لم تعجزوا وجميع خلقي عن الإتيان بمثله؛ لأن محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَشرٌ مثلكم، وفي مثل حالكم في الجسم وبسطة الخلق وذرابة اللسان.

وإنما احتجّ الله جلّ ثناؤه عليهم لنبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بما احتج به لهُ عليهم من القرآن؛ إذْ ظهر عجز القوم عن أن يأتوا بسورة من مثله في البيان، إذْ كان القرآن بيانًا مثل بيانهم، وكلامًا نـزل بلسانهم؛ فقال لهم جلّ ثناؤه: وإن كنتم في رَيب من أنّ ما أنـزلتُ على عبدي من القرآن من عندي، فأتوا بسورة من كلامكم الذي هو مثلُه في العربية إذْ كنتم عربًا، وهو بيانٌ نظيرُ بيانكم، وكلامٌ شبيهُ كلامِكم. فلم يكلفهم جل ثناؤه أن يأتوا بسورة من غير اللسان الذي هو نظيرُ اللسان الذي نـزل به القرآن؛ فيقدِرُوا أن يقولُوا: كلفتنا ما لو

أحسنَّاه أتينا به، وإنا لا نقدر على الإتيان به لأنا لسنا من أهل اللسان الذي كلفتنا الإتيان به، فليس لك علينا بهذا حجة، لأنا -وإن عَجزنا عن أن نأتي بمثله من غير ألسنتنا لأنّا لسنا من أهله- ففي الناس خلقٌ كثير من غير أهل لساننا يقدرُ على أن يأتيَ بمثله من اللسان الذي كلفتنا الإتيان به. ولكنه جل ثناؤه قال لهم: ائتوا بسورة مثله؛ لأن مثله من الألسن ألسنكم، وأنتم -إن كان محمدٌ اختلقه وافتراه إذا اجتمعتم وتظاهرتُم على الإتيان بمثل سورة منه من لسانكم وبيانكم- أقدرُ على اختلاقه وتأليفه من محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإن لم تكونوا أقدرَ عليه منه، فلن تعجزوا -وأنتم جميعٌ- عما قدَر عليه محمدٌ من ذلك وهو وحيدٌ، إن كنتم صادقين في دعواكم وزعمكم أنّ محمدًا افتراه واختلقه، وأنه من عند غيرِي.

★ **الخامسة:** ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾﴾

إن الله جل ثناؤه هو التوّاب على من تاب إليه -من عباده المذنبين- من ذنوبه، التارك مجازاته بإنابته إلى طاعته بعد معصيته بما سلف من ذنبه. وقد ذكرنا أن معنى التوبة من العبد إلى ربّه، إنابتُه إلى طاعته، وأوبته إلى ما يرضيه بتركه ما يسخطه من الأمور التي كان عليها مقيمًا مما يكرهه ربه. فكذلك توبة الله على عبده، هو أن يرزقه ذلك، ويؤوب له من غضبه عليه إلى الرضا، ومن العقوبة إلى العفو والصفح عنه.

وأما قوله: ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾، فإنه يعني أنه المتفضل عليه مع التوبة بالرحمة، ورحمته إياه، وإقالة عثرته، وصفحه عن عقوبة جُرمه.

★ السادسة: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾

وليست اليهود -يا محمد- ولا النصارى براضية عنك أبدًا، فدع طلب ما يرضيهم ويوافقهم، وأقبل على طلب رضا الله في دعائهم إلى ما بعثك الله به من الحق، فإن الذي تدعوهم إليه من ذلك لهو السبيل إلى الاجتماع فيه معك على الألفة والدين القيم. ولا سبيل لك إلى إرضائهم باتباع ملتهم؛ لأن اليهودية ضد النصرانية، والنصرانية ضد اليهودية، ولا تجتمع النصرانية واليهودية في شخص واحد في حال واحدة، واليهود والنصارى لا تجتمع على الرضا بك، إلا أن تكون يهوديًّا نصرانيًّا، وذلك مما لا يكون منك أبدًا، لأنك شخص واحد، ولن يجتمع فيك دينان متضادان في حال واحدة، وإذا لم يكن سبيل إلى اجتماعهما فيك في وقت واحد، لم يكن لك إلى إرضاء الفريقين سبيل، وإذا لم يكن لك إلى ذلك سبيل، فالزم هدى الله الذي لجمع الخلق إلى الألفة عليه سبيل.

ثم قال جل ثناؤه لنبيه محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قل -يا محمد- لهؤلاء النصارى واليهود الذين قالوا: ﴿لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾ [البقرة:١١١]: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾، يعني إن بيان الله هو البيان المقنع، والقضاء الفاصل بيننا، فهلموا إلى كتاب الله وبيانه الذي بيَّن فيه لعباده ما اختلفوا فيه، وهو التوراة التي تقرُّون جميعًا بأنها من عند الله،

يتضح لكم فيها المُحِقُّ منا من المُبطِل، وأيُّنا أهل الجنة، وأيُّنا أهل النار، وأيُّنا على الصواب، وأيُّنا على الخطأ.

وإنما أمر الله نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يدعوهم إلى هدى الله وبيانه؛ لأن فيه تكذيب اليهود والنصارى فيما قالوا من أن الجنة لن يدخلها إلا من كان هودًا أو نصارى، وبيان أمر محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأن المكذّب به من أهل النار دون المصدق به.

★السابعة: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمۡ عَن قِبۡلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيۡهَاۚ قُل لِّلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٤٢﴾﴾

سيقول السفهاء من الناس لكم: أيها المؤمنون بالله ورسوله إذا حوّلتم وجوهكم عن قبلة اليهود التي كانتْ لكم قبلةً قبل أمري إياكم بتحويل وجوهكم عنها شَطْر المسجد الحرام، أيُّ شيء حوّل وجوه هؤلاء فصرفها عن الموضع الذي كانوا يستقبلونه بوجوههم في صلاتهم؟

فأَعلَمَ الله جل ثناؤه نبيَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما اليهودُ والمنافقون قائلون من القول عند تحويل قبلته وقبلة أصحابه عن الشام إلى المسجد الحرام، وعلّمه ما ينبغي أن يكون من ردّه عليهم من الجواب، فقال له: إذا قالوا ذلك لك يا محمد، فقل لهم: ﴿لِّلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾.

وكان سببُ ذلك أنّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صلَّى نحو بيت المقدس مُدة، ثم أراد الله تعالى صَرْف قبلة نبيّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى المسجد الحرام، فأخبره عما اليهود قائلوه من القول عند صرفه وجهَه ووجهَ أصحابه شطرَه، وما الذي ينبغي أن يكون من ردّه عليهم من الجواب.

قُلْ يا محمد: إنَّ الله هدانا بالتوجُّه شطرَ المسجد الحرام لقبلة إبراهيم، وأضلَّكم -أيها اليهودُ والمنافقون وجماعةُ الشرك بالله- فخذلكم عما هدانا لهُ من ذلك.

★الثامنة: ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾.

جعل الله هذا القصاص حياة، ونكالًا وعظةً لأهل السفه والجهل من الناس. وكم من رجل قد هَمّ بداهية لولا مخافة القصاص لوقع بها، ولكن الله حَجز بالقصاص بعضهم عن بعض؛ وما أمر الله بأمرٍ قط إلا وهو أمر صلاح في الدنيا والآخرة، ولا نهى الله عن أمر قط إلا وهو أمر فساد في الدنيا والدين، والله أعلم بالذي يُصلح خَلْقه.

★التاسعة: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾ ﴾.

ولا يأكل بعضُكم مالَ بعض بالباطل. فجعل تعالى ذكره بذلك آكلَ مال أخيه بالباطل، كالآكل مالَ نَفسه بالباطل.

ونَظيرُ ذلك قولـه تعـالى ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ [الحجرات:١١]، وقوله ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ [النساء:٢٩]؛ بمعنى: لا يلمزْ بعضُكم بعضًا، ولا يقتُلْ بعضُكم بعضًا.

[وأيضًا قوله تعالى: ﴿فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً﴾ [النور:٦١]؛ أي يسلّم بعضكم على بعض]؛ لأن الله تعالى ذكره جعل المؤمنين إخوة، فقاتل أخيه كقاتل نفسه، ولامزُه كلامز

نفسه، [والذي يرد السلام على أخيه كمن يسلِّم على نفسه]، وكذلك تفعل العرب تكنّي عن نفسها بأخواتها، وعن أخواتها بنفسها.

**فتأويل الكلام:** ولا يأكلْ بعضكم أموال بعضٍ فيما بينكم بالباطل. وأكله بالباطل: أكله من غير الوجه الذي أباحه الله لآكليه.

**★العاشرة:** ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ ﴾.

الحسنة من الله عَزَّوَجَلَّ [في الدنيا]؛ العافية في الجسم والمعاش والرزق وغير ذلك، والعِلم والعبادة.

وأما في الآخرة، فلا شك أنها الجَنّة، لأن من لم يَنلها يومئذ فقد حُرم جميع الحسنات، وفارق جميع معاني العافية.

**★الحادية عشرة:** ﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾ ﴾.

يعني جل ثناؤه بذلك: زُيّن للذين كفروا حبُّ الحياة الدنيا العاجلة اللذات، فهم يبتغون فيها المكاثرة والمفاخرة، ويطلبون فيها الرياسات والمباهاة، ويستكبرون عن اتّباعك يا محمد، والإقرار بما جئت به من عندي، تعظُّمًا منهم على من صدَّقك واتّبعك، ويسخرون بمن تبعك من أهل الإيمان، في تركهم المكاثرة، والمفاخرة بالدنيا وزينتها من الأموال بطلب الرياسات وإقبالهم على طلبهم ما عندي برفض الدنيا وترك زينتها، والذين عملوا لي وأقبلوا على طاعتي، ورفضوا لذات الدنيا وشهواتها اتباعًا لك، وطلبًا لما

عندي، واتقاءً منهم بأداء فرائضي، وتجنُّب المعاصي [فهم] فوق الذين كفروا يوم القيامة؛ بإدخال المتقين الجنة، وإدخال الذين كفروا النار.

★الثانية عشرة: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾.

**فمعنى الكلام:** أم حسبتم أنكم أيها المؤمنون بالله ورسله تدخلون الجنة، ولم يصبكم مثلُ ما أصاب مَن قبلكم مِن أتباع الأنبياء والرسل من الشدائد والمحن والاختبار، فتُبتلوا بما ابتُلوا واختُبِروا به من البأساء؛ وهو شدة الحاجة والفاقة، والضراء؛ وهي العِلل والأمراض، ولم تزلزلوا زلزالهم؛ يعني: ولم يصبكم من أعدائكم من الخوف والرعب شدة وجهدٌ حتى تستبطؤون نصر الله إياكم، فتقولون: متى الله ناصرنا؟ ثم أخبركم الله أن نصره منكم قريبٌ، وأنه مُعليكم على عدوّكم، ومظهركم عليه، فنجَّز لكم ما وعدكم، وأعلى كلمتكم.

★الثالثة عشرة: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾.

يعني بذلك جل ثناؤه: ولا تكرهوا القتالَ، فإنكم لعلكم أن تكرهوه وهو خيرٌ لكم، ولا تحبوا تركَ الجهاد، فلعلكم أن تحبوه وهو شر لكم.

والله يعلم ما هو خيرٌ لكم، مما هو شر لكم، فلا تكرهوا ما كتبتُ عليكم من جهاد عدوكم، وقتال من أمرتكم بقتاله، فإني أعلم أنّ قتالكم إياهم، هو خيرٌ لكم في عاجلكم ومعادكم، وترككم قتالهم شر لكم، وأنتم لا تعلمون من ذلك ما أعلم، يحضّهم جل ذكره بذلك على جهاد أعدائه، ويرغّبهم في قتال من كفر به.

★الرابعة عشرة: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافًا كَثِيرَةً ...﴿٢٤٥﴾﴾.

إنما سماه الله تعالى ذكره قرضًا؛ لأن معنى القرض: إعطاء الرجل غيره ماله مملّكًا له، ليقضيه مثله إذا اقتضاه. فلما كان إعطاء من أعطى أهل الحاجة والفاقة في سبيل الله، إنما يعطيهم ما يعطيهم من ذلك ابتغاء ما وعده الله عليه من جزيل الثواب عنده يوم القيامة؛ [سمَّاه الله قرضًا].

وإنما جعله تعالى ذِكره قرضًا حسنًا؛ لأن المعطي يعطي ذلك عن [أنَّ] الله حثَّه عليه؛ احتسابًا من العبد ذلك؛ فهو لله طاعة، وليس ذلك لحاجة بالله إلى أحد من خلقه.

★الخامسة عشرة: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمًا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾.

واحذروا -أيها الناس- يومًا ترجعون فيه إلى الله فتلقونه فيه، أن [تأتوا وتُقبِلوا على الله] بسيئات تهلككم، أو بمخزيات تخزيكم، أو بفاضحات تفضحكم؛ فتهتك أستاركم، أو بموبقات توبقكم؛ فتوجب لكم من عقاب

الله ما لا [طاقة] لكم به، وإنه يوم مجازاة بالأعمال، لا يوم توبة وإنابة، ولكنه يوم جزاء وثواب ومحاسبة، تُوفَّى فيه كل نفس أجرها على ما قدمت واكتسبت من سيئ وصالح، لا [تُترك] فيه صغيرة ولا كبيرة من خير وشر إلا أُحضِرت، فوفيت جزاءها بالعدل من ربها، وهم لا يظلمون. وكيف يظلم من جوزي بالإساءة مثلها، وبالحسنة عشر أمثالها؟! كلا بل عدْلٌ عليك أيها المسيء، وتكرُّمٌ عليك فأفضل وأسبغ أيها المحسن، فاتقى امرؤٌ ربه، وأخذ منه حِذْره، وراقبه أن يهجم عليه يومه، وهو من الأوزار ظهره ثقيل، فإنه عَزَّوَجَلَّ حذَّر فأعذر، ووعظ فأبلغ.

# سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ

**ومنها جمعت هذه الدرر:**

**★الأولى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾﴾.**

هذا نهيٌ من الله عَزَّوَجَلَّ المؤمنين أن يتخذوا الكفارَ أعوانًا وأنصارًا وظهورًا؛ ومعنى ذلك: أيها المؤمنون لا تتخذوا الكفارَ ظهرًا وأنصارًا توالونهم على دينهم، وتظاهرونهم على المسلمين، وتدلُّونهم على عوراتهم، فإنه مَنْ يفعل ذلك ﴿فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ﴾؛ يعني بذلك: فقد برئ من الله وبرئ الله منه، بارتداده عن دينه ودخوله في الكفر، ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾، إلا أن تكونوا في سلطانهم فتخافوهم على أنفسكم، فتظهروا لهم الولاية بألسنتكم، وتضمروا لهم العداوة، ولا تشايعوهم على ما هم عليه من الكفر، ولا تعينوهم على مُسلم بفعل.

ويخوّفكم الله من نفسه أن تَرْتكبوا معاصيه، أو توالوا أعداءه، فإن لله مرجعكم ومصيركم بعد مماتكم، ويوم حشركم لموقف الحساب؛ يعنى بذلك: متى صرتم إليه وقد خالفتم ما أمركم به، وأتيتم ما نهاكم عنهُ من اتخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين، نالكم من عقاب ربكم ما لا قِبَل لكم به [ولا طاقة ولا تحمُّل]، يقول: فاتقوه واحذرُوه أن ينالكم ذلك منه، فإنه شديد العقاب.

★الثانية: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾﴾.

هذا تكذيبٌ من الله عَزَّوَجَلَّ دعوَى الذين جادلوا في إبراهيم وملته من اليهود والنصارى، وادَّعوا أنه كان على ملتهم، وتبرئة له منهم، وأنهم لدينه مخالفون، وقضاءٌ منه عَزَّوَجَلَّ لأهل الإسلام ولأمة محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أنهم هم أهل دينه، وعلى منهاجه وشرائعه، دون سائر أهل الملل والأديان غيرهم.

يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ما كان إبراهيم يهوديًّا ولا نصرانيًّا ولا كان من المشركين الذين يعبدون الأصنامَ والأوثانَ أو مخلوقًا دون خالقه الذي هو إله الخلق وبارئهم، ولكن كان حنيفًا متبعًا أمرَ الله وطاعته، مستقيمًا على محجَّة الهدى التي أمر بلزومها، مسلمًا خاشعًا لله بقلبه، متذللًا له بجوارحه، مذعنًا لما فَرَض عليه وألزمه من أحكامه.

★الثالثة: ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾﴾.

شَبَهُ ما ينفق الذين كفروا وما يتصدق به الكافر من ماله، فيعطيه من يعطيه على وجه القُربة إلى ربّه وهو لوحدانية الله جاحد، ولمحمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ مكذب، في أن ذلك غير نافعه مع كفره، وأنه مضمحلّ [ومنعدم] عند حاجته إليه، ذاهبٌ بعد الذي كان يرجو من عائدة نفعه عليه، كشبه ريح فيها برد شديد، أصابت هذه الريح التي فيها البرد الشديد زرع قوم ورجَوْا [نفع

وحصاد هذا الزرع] وعائدة نفعه؛ فأهلكت الريح التي فيها الصرُّ زرعهم ذلك، بعد الذي كانوا عليه من الأمل ورجاء عائدة نفعه عليهم.

يقول تعالى ذكره: فكذلك فعل الله بنفقة الكافر وصدقته في حياته -حين يلقاه- يبطل ثوابها ويخيب رجاؤه منها.

وما فعل الله بهؤلاء الكفار ما فعل بهم، من إحباطه ثواب أعمالهم وإبطاله أجورها ظلمًا منه لهم، أو وضعًا منه لما فعل بهم من ذلك في غير موضعه وعند غير أهله، بل وضَع فعله ذلك في موضعه، وفعل بهم ما هم أهله. لأن عملهم الذي عملوه لم يكن لله وهم له بالوحدانية دائنون، ولأمره مُتبعون، ولرسله مصدقون، بل كان ذلك منهم وهم به مشركون، ولأمره مخالفون، ولرسله مكذبون، بعد تقدُّم منه إليهم أنه لا يقبل عملًا من عامل إلا مع إخلاص التوحيد له، والإقرار بنبوة أنبيائه، وتصديق ما جاؤوهم به، وتوكيده الحجج بذلك عليهم. فلم يكن بفعله ما فعل بمن كفر به وخالف أمره في ذلك الإعذار إليه من إحباط عمله له ظالمًا، بل الكافرُ هو الظالم نفسه؛ لإكسابها من معصية الله وخلاف أمره، ما أوردها به نار جهنم، وأصلاها به سعير سقَر.

**الرابعة: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾﴾.**

مضت وسلفت فيمن كان قبلكم -يا معشر أصحاب محمد وأهل الإيمان به من نحو قوم عاد وثمود وقوم هود وقوم لوط، وغيرهم من الأمم قبلكم- سنن؛ يعني: مثُلات سيرَ بها فيهم وفيمن كذَّبوا به من أنبيائهم الذين

أُرسِلوا إليهم، بإمهالي أهلَ التكذيب بهم، واستدراجي إياهم، حتى بلغ الكتاب فيهم أجله الذي أجَّلته؛ ثم أحللت بهم عقوبتي، وأنـزلتُ بساحتهم نِقَمي، فتركتهم لمن بعدهم أمثالًا وعِبرًا، فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة تكذيبهم أنبيائي، وإنكارهم وحدانيتي.

# سُورَةُ النِّسَاءِ

**ومنها جمعت هذه الدرر:**

★**الأولى:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ... ﴿١﴾﴾.

احذروا أيها الناس ربكم في أن تخالفوه فيما أمركم وفيما نهاكم، فيحلّ بكم من عقوبته ما لا قِبَل لكم به.

ثم وصف تعالى ذكره نفسه بأنه المتوحّد بخلق جميع الأنام من شخص واحد، مُعرّفًا عباده كيف كان مبتدأ إنشائه ذلك من النفس الواحدة، ومنبّهَهم بذلك على أن جميعهم بنو رجل واحد وأم واحدة، وأن بعضهم من بعض، وأن حق بعضهم على بعض واجبٌ وجوبَ حق الأخ على أخيه؛ لاجتماعهم في النسب إلى أب واحد وأم واحدة، وأن الذي يلزمهم من رعاية بعضهم حق بعض، وإن بَعُدَ التلاقي في النسب إلى الأب الجامع بينهم، مثل الذي يلزمهم من ذلك في النسب الأدنى، وعاطفًا بذلك بعضهم على بعض؛ ليتناصفوا ولا يتظالموا، وليبذُل القوي من نفسه للضعيف حقه بالمعروف على ما ألزمه الله له، فقال: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾؛ يعني: من آدم.

★**الثانية:** ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ... ﴿٣٤﴾﴾.

الرجال أهل قيام على نسائهم في تأديبهن والأخذ على أيديهن فيما يجب عليهن لله ولأنفسهم؛ ﴿بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ يعني بما فضل الله

به الرجال على أزواجهم من سوقهم إليهن مهورهن، وإنفاقهم عليهن أموالهم، وكفايتهم إياهن مؤنهن؛ وذلك تفضيل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى إياهم عليهن؛ ولذلك صاروا قوامين عليهن نافذي الأمر عليهن فيما جعل الله إليهم من أمورهن.

★الثالثة: ﴿... وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا ٣٤﴾.

[أي: ارتفاعهن عن طاعة أزواجهن بأن تعصيه بالقول أو الفعل فإنه يؤدبها بالأسهل فالأسهل، ﴿فَعِظُوهُنَّ﴾؛ أي: ببيان حكم الله في طاعة الزوج ومعصيته والترغيب في الطاعة، والترهيب من معصيته، فإن انتهت فذلك المطلوب، وإلا فيهجرها الزوج في المضجع؛ بأن لا يضاجعها، ولا يجامعها بمقدار ما يحصل به المقصود، وإلا ضربها ضربًا غير مبرح، فإن حصل المقصود بواحد من هذه الأمور وأطعنكم]. ﴿فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًا﴾. فإن أطعنكم أيها الناس نساؤكم اللاتي تخافون نشوزهن عند وعظكم إياهن فلا تهجروهن في المضاجع، فإن لم يطعنكم فاهجروهن في المضاجع واضربوهن، فإن رجعن إلى طاعتكم عند ذلك ورجعن إلى الواجب عليهن؛ فلا تطلبوا طريقًا إلى أذاهن ومكروههن.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا﴾ إن الله ذو علو على كل شيء، فلا تبغوا [ولا تعتدوا] أيها الناس على أزواجكم إذا أطعنكم فيما ألزمهن الله لكم من حق لعلو أيديكم على أيديهن، فإن الله أعلى منكم ومن كل شيء،

وأعلى منكم عليهن، وأكبر منكم ومن كل شيء، وأنتم في يده وقبضته، فاتقوا الله أن تظلموهن وتبغوا عليهن وهن لكم مطيعات؛ فينتصر لهن منكم ربكم الذي هو أعلى منكم ومن كل شيء، وأكبر منكم ومن كل شيء.

★الرابعة: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾﴾.

ذُكِر أن هذه الآية نـزلت في قوم من أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانوا قد آمنوا به وصدقوه قبل أن يُفرض عليهم الجهاد، وقد فُرض عليهم الصلاة والزكاة، وكانوا يسألون الله أن يَفرض عليهم القتال؛ فلما فرض عليهم القتال شقّ عليهم ذلك.

[وقل يا محمد لهؤلاء الذين يخافون القتال ويخشون أن يُقتلوا في المعركة بأن] ﴿مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ﴾؛ أي إن عيشكم في الدنيا وتمتعكم بها قليل، لأنها فانية وما فيها فانٍ، (والآخرة خير)؛ يعني: ونعيم الآخرة خير؛ لأنها باقية، ونعيمها باقٍ دائم.

★الخامسة: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ... ﴿٧٨﴾﴾.

حيثما تكونوا يَنَلكم الموت فتموتوا ﴿وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾، يقول: [لا تخافوا] من الموت، ولا تهربوا من القتال، وتضعفوا عن لقاء عدوكم،

حذرًا على أنفسكم من القتل والموت، فإن الموت [بجانبكم] أين كنتم، وواصلٌ إلى أنفسكم حيث كنتم، ولو تحصَّنتم منه بالحصون المنيعة.

★السادسة: ﴿لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾﴾.

لا [يستوي] المتخلّفون عن الجهاد في سبيل الله من أهل الإيمان بالله وبرسوله، المؤثرون الدعةَ [والراحةَ] والقُعودَ في منازلهم على مُقاساة الأسفار والسير في الأرض، ومشقة ملاقاة أعداء الله بجهادهم في ذات الله، وقتالهم في طاعة الله، إلا أهل العذر منهم بذَهَاب أبصارهم، وغير ذلك من العِلل التي لا سبيل لأهلها إلى قتالهم وجهادهم في سبيل الله؛ [فالقاعدون بدون أعذار لا يستوون؛] هم والمجاهدون في سبيل الله، [الذين يجاهدون] لتكون كلمة الله هي العليا، المستفرغون طاقَتهم في قتال أعداءِ الله وأعداءِ دينهم بأموالهم، إنفاقًا لها فيما أوهَن كيد أعداء أهل الإيمان بالله، وبأنفسهم مباشرة؛ لتكون كلمة الله العالية، وكلمة الذين كفروا السافلة.

★السابعة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾﴾.

يعني بقوله جل ثناؤه: إن الذين يكفرون بالله ورسله من اليهود والنصارى، ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله، بأن يكذبوا رسل الله الذين

أرسلهم إلى خلقه بوحيه، ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض؛ يعني يقولون: نصدّق بهذا ونكذّب بهذا. كما فعلت اليهود من تكذيبهم عيسى ومحمدًا -صلى الله عليهما وسلم-، وتصديقهم بموسى وسائر الأنبياء قبله بزعمهم. وكما فعلت النصارى من تكذيبهم محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتصديقهم بعيسى وسائر الأنبياء قبله بزعمهم.

فقال جل ثناؤه لعباده، منبهًا لهم على ضلالتهم وكفرهم: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾ [النساء:١٥١]، يقول: أيها الناس، هؤلاء الذين وصفت لكم صفتهم، هم أهل الكفر بي، المستحقون عذابي والخلود في ناري حقًّا. فاستيقنوا ذلك، ولا يشككنَّكم في أمرهم انتحالهم الكذب، ودعواهم أنهم يقرُّون بما زعموا أنهم به مقرُّون من الكتب والرسل، فإنهم في دعواهم ما ادعوا من ذلك كَذَبَةٌ. وذلك أن المؤمن بالكتب والرسل، هو المصدّق بجميع ما في الكتاب الذي يزعم أنه به مصدق، وبما جاء به الرسول الذي يزعم أنه به مؤمن. فأما من صدّق ببعض ذلك وكذَّب ببعض، فهو لنبوة من كذب ببعض ما جاء به جاحد، ومن جحد نبوة نبي فهو به مكذب. وهؤلاء الذين جحدوا نبوة بعض الأنبياء، وزعموا أنهم مصدقون ببعض، مكذبون من زعموا أنهم به مؤمنون؛ لتكذيبهم ببعض ما جاءهم به من عند ربهم، فهم بالله وبرسله الذين يزعمون أنهم بهم مصدقون، والذين يزعمون أنهم بهم مكذبون كافرون، فهم الجاحدون وحدانية الله ونبوّة أنبيائه حق الجحود، المكذبون بذلك حق التكذيب. فاحذروا أن تغتروا بهم، فإنا قد أعتدنا لهم عذابًا مهينًا.

★الثامنة: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمۡ يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ أُوْلَٰٓئِكَ سَوۡفَ يُؤۡتِيهِمۡ أُجُورَهُمۡۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١٥٢﴾.

يعني بذلك: والذين صدَّقوا بوحدانية الله، وأقرُّوا بنبوة رسله أجمعين، وصدَّقوهم فيما جاؤوهم به من عند الله من شرائع دينه، ولم يفرقوا بين أحد منهم؛ أي: ولم يكذّبوا بعضهم ويصدقوا بعضهم، ولكنهم أقرُّوا أن كل ما جاؤوا به من عند ربهم حق، أولئك هؤلاء -الذين هذه صفتهم- من المؤمنين بالله ورسله، وسوف يعطيهم جزاءهم وثوابهم على تصديقهم الرسل في توحيد الله وشرائع دينه، وما جاءت به من عند الله، وكان الله غفورًا يغفر لمن فعل ذلك من خلقه ما سلف له من آثامه، فيستر عليه بعفوه له عنه، وتركه العقوبة عليه، فإنه لم يزل لذنوب المنيبين إليه من خلقه غفورًا، ولم يزل بهم رحيمًا، بتفضله عليهم بالهداية إلى سبيل الحق، وتوفيقه إياهم لما فيه خلاص رِقابهم من النار.

# سُورَةُ المَائِدَة

**ومنها جمعت هذه الدرر:**

★**الأولى:** ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾.

يا أيها الذين آمنوا بالله وبرسوله ليكن من أخلاقكم وصفاتكم القيامُ لله شهداء بالعدل في أوليائكم وأعدائكم، ولا تجوروا في أحكامكم وأفعالكم فتجاوزوا ما حددت لكم في أعدائكم لعدواتهم لكم، ولا تقصّروا فيما حددت لكم من أحكامي وحدودي في أوليائكم لولايتهم لكم، ولكن انتهوا في جميعهم إلى حدّي، واعملوا فيه بأمري.

ولا يحملنكم عداوةُ قوم على ألا تعدلوا في حكمكم فيهم وسيرتكم بينهم، فتجوروا عليهم من أجل ما بينكم وبينهم من العداوة.

★**الثانية:** ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍۖ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾ ﴾.

[يقول تعالى مخاطبًا أهل الكتاب من اليهود والنصارى: إنه قد أرسل إليهم رسوله محمدًا خاتم النبيين، الذي لا نبي بعده ولا رسول؛ بل هو المعقّب

لجميعهم؛ ولهذا قال: ﴿عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾؛ أي: بعد مدة متطاولة ما بين إرسال محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعيسى بن مريم]، كي لا تقولوا ما جاءَنا من بشير ولا نذير، يُعلِمهم تعالى أنه قد قطَع عذرهم برسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأبلغ إليهم في الحجة.

﴿فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾. [يخاطب الله اليهود والنصارى فيقول لهم] قد أعذرنا إليكم، واحتججنا عليكم برسولنا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إليكم، وأرسلناه إليكم ليبيّن لكم ما أشكل عليكم من أمر دينكم، كيلا تقولوا: لم يأتنا من عندك رسولٌ يبيّن لنا ما نحن عليه من الضلالة. فقد جاءكم من عندي رسول يبشر من آمن بي وعمل بما أمرته وانتهى عما نهيته عنه، وينذر من عصاني وخالف أمري، وأنا القادر على كل شيء، أقدر على عقاب من عصاني، وثواب من أطاعني، فاتقوا عقابي على معصيتكم إياي وتكذيبكم رسولي، واطلبوا ثوابي على طاعتكم إياي وتصديقكم بشيري ونذيري، فإني أنا الذي لا يعجزه شيء أرادَه، ولا يفوته شيء طلبه.

★الثالثة: ﴿قُل لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ كَثۡرَةُ ٱلۡخَبِيثِ... ﴿١٠٠﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه -محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قل يا محمد: لا يعتدل الرديء والجديد، والصالح والطالح، والمطيع والعاصي، ولو أعجبك كثرة الخبيث، فلا يعتدل العاصي والمطيع لله عند الله، ولو كثر أهل المعاصي فعجبت من كثرتهم؛ لأن أهل طاعة الله هم المفلحون الفائزون بثواب الله

يوم القيامة وإن قلُّوا، دون أهل معصيته، وإن أهل معاصيه هم الأخسرون الخائبون وإن كثروا.

فلا تعجبنَّ من كثرة من يعصى الله فيُمْهِله ولا يعاجله بالعقوبة، فإن العُقبَى الصالحة لأهل طاعة الله عنده دونهم.

# سُورَةُ الأَنْعَامِ

**ومنها هذه الدرة:**

★﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قل لهؤلاء المعرضين عنك، المكذبين بآيات الله: أيها القوم، لا تحسبُنَّ الله غافلًا عما تعملون، أو أنه غير مجازيكم على ما تكسبون! وكيف يغفل عن أعمالكم، أو يترك مجازاتكم عليها، وهو غير غافل عن عمل شيء دبَّ على الأرض صغيرٍ أو كبيرٍ، ولا عمل طائر طار بجناحيه في الهواء، بل جعل ذلك كله أجناسًا مجنَّسة وأصنافًا مصنفة، تعرف كما تعرفون، وتتصرف فيما سُخّرت له كما تتصرفون، ومحفوظ عليها ما عملت من عمل لها وعليها، ومُثْبَت كل ذلك من أعمالها في أم الكتاب، ثم إنه تعالى ذكره مميتها ثم منشرها ومجازيها يوم القيامة جزاءَ أعمالها. يقول: فالرب الذي لم يضيّع حفظَ أعمال البهائم والدوابّ في الأرض، والطير في الهواء، حتى حفظ عليها حركاتها وأفعالها، وأثبت ذلك منها في أم الكتاب، وحشرها ثم جازاها على ما سلف منها في دار البلاء؛ أحرى [وأَولى] أن لا يُضيع أعمالكم، ولا يُفرّط في حفظ أفعالكم التي تجترحونها أيها الناس، حتى يحشركم فيجازيكم على جميعها، إن خيرًا فخيرًا، وإن شرًّا فشرًّا إذ كان قد خصكم من نعمه، وبسط عليكم من فضله، ما لم [يعطه] غيركم في الدنيا،

وكنتم بشكره أحقّ، وبمعرفة واجبه عليكم أَولى، لِمَا أعطاكم من العقل الذي به بين الأشياء تميّزون، والفهم الذي لم يعطه البهائم والطيرَ، الذي به بين مصالحكم ومضارّكم تفرُّقون.

# سُورَةُ الأَعْرَافِ

**ومنها هذه الدرة:**

★﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾.

هذا خبرٌ من الله جل ثناؤه عن جواب إبليس إياه إذ سأله: ما الذي منعه من السجود لآدم، فأحوجه إلى أن لا يسجد له، واضطره إلى خلافه أمرَه به، وتركه طاعته؟ أنّ المانعَ كان له من السجود، والداعيَ له إلى خِلافِه أمر ربه في ذلك: أنه أقوى منه قوة، وأفضل منه فضلًا لفضل الجنس الذي منه خلق؛ وهو النار، على الذي خلق منه آدم؛ وهو الطين. فجهل عدوّ الله وجه الحق وأخطأ سبيل الصواب. إذ كان معلومًا أن من جوهر النار الخفة والطيش والاضطراب والارتفاع علوًّا، والذي في جوهرها من ذلك هو الذي حملَ الخبيث بعد الشقاء الذي سبق له من الله في الكتاب السابق، على الاستكبار عن السجود لآدم، والاستخفاف بأمر ربه؛ فأورثه [الخسارة] والهلاك. وكان معلومًا أن من جوهر الطين الرزانة والأناة والحلم والتثبُّت وذلك الذي هو في جوهره من ذلك، كان الداعي لآدم بعد السعادة التي كانت سبقت له من ربه في الكتاب السابق، إلى التوبة من خطيئته، ومسألته ربَّه العفوَ عنه والمغفرة. ولذلك كان الحسن وابن سيرين يقولان: أول من قاسَ إبليس. يعنيان بذلك القياسَ الخطأ.

وهو هذا الذي ذكرنا من خطأ قوله، وبعده من إصابة الحق، في الفضل الذي خص الله به آدم على سائر خلقه؛ من خلقه إياه بيده، ونفخه فيه من روحه، وإسجاده له الملائكة، وتعليمه أسماء كلّ شيء، مع سائر ما خصه به من كرامته؛ [فترك] الجاهل ذلك كلّه، وقصد إلى الاحتجاج بأنه خُلق من نار وخُلِق آدم من طين! وهو في ذلك أيضًا له غير كفء، لو لم يكن لآدم من الله جل ذكره تكرمة شيء غيره، فكيف والذي خصّ به من كرامته يكثر تعداده، ويملّ إحصاؤه؟

# سُورَةُ الأَنفَالِ

**ومنها جمعت هذه الدرر:**

★**الأولى:** ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾.

واعلموا -أيها المؤمنون- أنما أموالكم التي [أعطاكم] الله، وأولادكم التي وهبها الله لكم، اختبارٌ وبلاء، أعطاكموها ليختبركم بها ويبتليكم؛ لينظر كيف أنتم عاملون من أداء حق الله عليكم فيها، والانتهاء إلى أمره ونهيه فيها.

واعلموا أن الله عنده خيرٌ وثواب عظيم، على طاعتكم إياه فيما أمركم ونهاكم، في أموالكم وأولادكم التي اختبركم بها في الدنيا، وأطيعوا الله فيما كلفكم فيها؛ تنالوا به الجزيل من ثوابه في معادكم.

★**الثانية:** ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾.

يقول تعالى ذكره: إن الذين كفروا بالله ورسوله ينفقون أموالهم، فيعطونها أمثالهم من المشركين ليتقوَّوا بها على قتال المؤمنين به؛ ليصدّوا المؤمنين بالله ورسوله عن الإيمان بالله ورسوله، فسينفقون أموالهم في ذلك،

ثم تكون نفقتهم تلك عليهم حسرة وندامة؛ لأن أموالهم تذهب، ولا يظفرون بما يأملون ويطمعون فيه من إطفاء نور الله، وإعلاء كلمة الكفر على كلمة الله؛ لأن الله مُعْلي كلمته، وجاعل كلمة الكفر السفلى، ثم يغلبهم المؤمنون، ويحشر الله الذين كفروا به وبرسوله إلى جهنم؛ فيعذبون فيها، فأعْظِم بها حسرة وندامة لمن عاش منهم ومن هلك!

أما الحيّ [منهم]؛ فذهب ماله باطلًا في غير نفع، ورجع مغلوبًا مقهورًا محروبًا مسلوبًا. وأما الهالك؛ فقُتل وسُلب، وعُجّل به إلى نار الله يخلُد فيها، نعوذ بالله من غضبه.

★الثالثة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةً فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾.

وهذا تعريفٌ من الله جل ثناؤه أهل الإيمان به، السيرةَ في حرب أعدائه من أهل الكفر به، والأفعالَ التي يُرْجَى لهم باستعمالها عند لقائهم النصرة عليهم والظفر بهم. حيث يقول لهم جل ثناؤه: يا أيها الذين آمنوا، إذا لقيتم جماعة من أهل الكفر بالله للحرب والقتال فاثبتوا لقتالهم، ولا تنهزموا عنهم ولا تولوهم الأدبار هاربين، واذكروا الله كثيرًا، وادعوا الله بالنصر عليهم والظفر بهم، وأشعروا قلوبكم وألسنتكم ذكرالله؛ لعلكم تفلحون وتظفرون بعدوكم، ويرزقكم الله النصرَ والظفر عليهم.

# سُورَةُ يُونُسَ

**ومنها جمعت هذه الدرر:**

★**الأولى:** ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٢٥﴾.

يقول تعالى ذكره لعباده: أيها الناس، لا تطلبوا الدنيا وزينتَها؛ فإن مصيرها إلى فناءٍ وزوالٍ، ولكن اطلبوا الآخرة الباقية، ولها فاعملوا، وما عند الله فالتمسوا بطاعته، فإن الله يدعوكم إلى داره، وهي جناته التي أعدَّها لأوليائه، تسلموا من الهموم والأحزان فيها، وتأمنوا من فناء ما فيها من النَّعيم والكرامة التي أعدَّها لمن دخلها، وهو يهدي من يشاء من خلقه فيوفقه لإصابة الطريق المستقيم، وهو الإسلام الذي جعله جل ثناؤه سببًا للوصول إلى رضاه، وطريقًا لمن ركبه وسلك فيه إلى جِنانه وكرامته.

★**الثانية:** ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ١٠١﴾.

يقول تعالى ذكره: قل يا محمد لهؤلاء المشركين من قومك، السائليك الآياتِ على صحّة ما تدعوهم إليه من توحيد الله وخلع الأنداد والأوثان: انظروا -أيها القوم- ماذا في السمواتِ من الآيات الدّالة على حقيقة ما أدعوكم إليه من توحيد الله؛ من شمسها وقمرها، واختلافِ ليلها ونهارِها، ونـزول الغيث بأرزاق العبادِ من سحابها، وفي الأرض من جبالها، وتصدُّعها بنباتها،

وأقوات أهلها، وسائر صنوف عجائبها، فإن في ذلك لكم إن عقلتم وتدبَّرتم موعظة ومعتبرًا، ودلالةً على أن ذلك من فعل من لا يجوز أن يكون له في ملكه شريك، ولا له على تدبيره وحفظه ظهير يُغْنيكم عما سواه من الآيات.

يقول الله جل ثناؤه: ﴿وَمَا تُغْنِي ٱلْآيَـٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾؛ أي: وما تغني الحجج والعبر والرسل المنذرة عباد الله [من] عقابه، عن قوم قد سبق لهم من الله الشقاء، وقضى لهم في أم الكتاب أنهم من أهل النار، لا يؤمنون بشيء من ذلك ولا يصدّقون به. ﴿وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾﴾ [يونس:٩٧].

**★الثالثة: ﴿ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾.**

يقول تعالى ذكره: قل يا محمد لهؤلاء المشركين من قومك: انتظروا مثل أيام الذين خلوا من قبلكم من الأمم السالفة الذين هلكوا بعذاب الله، فإن ذلك إذا جاء لم يهلك به سواهم، ومن كان على مثل الذي هم عليه من تكذيبك، ثم ننجّي هناك رسولَنَا محمدًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومن آمن به وصدّقه واتبعه على دينه، كما فعلنا قبل ذلك برُسلنا الذين أهلكنا أممهم؛ فأنجيناهم ومن آمن بهم من عذابنا حين حقّ على أممهم ﴿كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ يقول: كما فعلنا بالماضين من رسلنا فأنجيناها والمؤمنين، وأهلكنا [الآخرين]، كذلك نفعل بك يا محمد، وبالمؤمنين؛ فننجيك وننجي المؤمنين بك، حقًّا علينا غير شك.

# سُورَةُ هُودٍ

**ومنها هذه الدرة:**

★﴿مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: مثل فريقي الكفر والإيمان كمثل الأعمى الذي لا يرى بعينه شيئًا، والأصم الذي لا يسمع شيئًا، فكذلك فريق الكفر لا يبصر الحق فيتبعه ويعمل به؛ لشغله بكفره بالله، وغلبة خذلان الله عليه، لا يسمع داعي الله إلى الرشاد، فيجيبه إلى الهدى فيهتدي به، فهو مقيمٌ في ضلالته، يتردَّد في حيرته.

والسميع والبصير فذلك فريق الإيمان؛ أبصر حجج الله، وأقرَّ بما دلت عليه من توحيد الله، والبراءة من الآلهة والأنداد، ونبوة الأنبياء عليهم السلام، وسمِعَ داعي الله فأجابه وعمل بطاعة الله.

ثم يقول الله: هل يستوي هذان الفريقان على اختلاف حالتيهما في أنفسهما عندكم أيها الناس؟ فإنهما لا يستويان عندكم، فكذلك حال الكافر والمؤمن لا يستويان عند الله، ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾؛ أي أفلا تعتبرون أيها الناس وتتفكرون، فتعلموا حقيقة اختلاف أمريهما، فتنزجروا عما أنتم عليه من الضلال إلى الهدى، ومن الكفر إلى الإيمان؟

# سُورَةُ يُوسُفَ

**ومنها جمعت هاتين الدرتين:**

★**الأولى:** ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: [يا محمد] هذا الخبر الذي أخبرتك به من خبر يوسف ووالده يعقوب وإخوته وسائر ما في هذه السورة من أخبار الغيب الذي لم تشاهده ولم تعاينه، ولكنا نوحيه إليك ونعرّفكه؛ لنثبّت به فؤادك، ونشجّع به قلبك، وتصبر على ما نالك من الأذى من قومك في ذات الله، وتعلم أن من قبلك من رسل الله إذ صبروا على ما نالهم فيه، وأخذوا بالعفو، وأمروا بالعُرف، وأعرضوا عن الجاهلين؛ فازوا بالظفر، وأُيّدوا بالنصر، ومُكّنوا في البلاد، وغَلَبوا من قَصَدوا من أعدائهم وأعداء دين الله. يقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لنبيه محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فبهم، يا محمد، فتأسَّ، وآثارهم فقُصَّ.

★**الثانية:** ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ... ﴿١١١﴾﴾.

لقد كان في قصص يوسف وإخوته عبرة لأهل العقول يعتبرون بها، وموعظة يتّعظون بها. وذلك أن الله جل ثناؤه بعد أن أُلقِيَ يوسف في الجبّ ليهلك، ثم بِيع بَيْع العبيد بالخسيس من الثمن، وبعد [العبودية] والحبس الطويل؛ ملَّكه مصر، ومكَّن له في الأرض، وأعلاه على من بغاه سوءًا من

إخوته، وجمع بينه وبين والديه وإخوته بقدرته، بعد المدة الطويلة، وجاء بهم إليه، فقال جل ثناؤه للمشركين من قوم نبيّه محمدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لقد كان لكم، أيها القوم، في قصصهم عبرةٌ لو اعتبرتم به، أن الذي فعل ذلك بيوسف وإخوته، لا يتعذَّر عليه فعلُ مثله بمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فيخرجه من بين أظهُرِكم، ثم يُظْهِره عليكم، ويمكّن له في البلاد، ويؤيده بالجند والرجال من الأتباع والأصحاب، وإن مرَّت به شدائد، وأتت دونه الأيام والليالي والدهور والأزمان؛ [وهذا الذي حصل؛ إذ مكَّن الله لنبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ودخل مكة فاتحًا، بعد نزول هذه السورة بعشر سنين].

# سُورَةُ الرَّعْدِ

**ومنها جمعت هاتين الدرتين:**

★**الأُولى:** ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾﴾.

هذا مثل الحق في ثباته والباطل في اضمحلاله [وانتهائه]، مثل ماء أنزله الله من السماء إلى الأرض ﴿فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا﴾؛ أي: فاحتملته الأودية بملئها، الكبير بكبره، والصغير بصغره ﴿فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا﴾، فاحتمل السيل الذي حدث عن ذلك الماء الذي أنزله الله من السماء، زبدًا عاليًا فوق السيل.

فهذا أحدُ مَثَلِي الحقّ والباطل؛ فالحق هو الماء الباقي الذي أنزله الله من السماء، والزبد الذي لا يُنتفَعُ به هو الباطل.

**والمثل الآخر:** ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ﴾ يقول جل ثناؤه: ومثلٌ آخر للحقّ والباطل، مثل فضةٍ أو ذهبٍ يوقد عليها الناس في النار طلب حلية يتخذونها أو متاع، وذلك من النحاس والرصاص والحديد، يوقد عليه ليتخذ منه متاع ينتفع به ﴿زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ﴾ يقول تعالى ذكره: ومما يوقدون عليه

من هذه الأشياء زبد مثله، يعني: [أن الباطل] مثلُ زبد السَّيل لا ينتفع به ويذهب باطلًا كما لا ينتفع بزبد السَّيل ويذهب باطلًا.

**ومعنى الكلام:** ومما يوقدون عليه في النار زبدٌ مثلُ زبد السيل في بُطلان زبده، وبقاء خالص الذهب والفضة.

يقول الله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ وَٱلۡبَٰطِلَ﴾ يقول: كما مثَّل الله مثلَ الإيمان والكفر في بُطلان الكفر وخيبة صاحبه عند مجازاة الله، بالباقي النافع من ماء السيل وخالص الذهب والفضة؛ كذلك يمثل الله الحق والباطل ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗ﴾ يقول: فأما الزبد الذي علا السيل والذهب والفضة والنحاس والرصاص عند الوقود عليها، فيذهب بدفع الرياح وقذف الماء به، وتعلُّقه بالأشجار وجوانب الوادي ﴿وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾ من الماء والذهب والفضة والرصاص والنحاس؛ فالماء يمكثُ في الأرض فتشربه، والذهب والفضة تمكث للناس ﴿كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ﴾ يقول: كما مثَّل هذا المثل للإيمان والكفر، كذلك يمثل الأمثال.

★**الثانية:** ﴿وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ فَأَمۡلَيۡتُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ثُمَّ أَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ ٣٢﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: يا محمد إن يستهزئ هؤلاء المشركون من قومك ويطلبوا منك الآيات تكذيبًا منهم ما جئتهم به، فاصبر على أذاهم لك وامضِ لأمر ربك في إنذارهم، والإعذار إليهم؛ فلقد استهزأت أممٌ من قبلك قد خَلَت بُرسلِي، فأطلتُ لهم في المَهَل، ومددت لهم في الأجَل؛

ثم أحللتُ بهم عذابي ونقمتي حين تمادَوْا في غيّهم وضَلالهم، فانظر كيف كان عقابي إياهم حين عاقبتهم، ألم أذقهم أليم العذاب، وأجعلهم عبرةً لأولي الألباب؟

# سُورَةُ النَّحْلِ

**ومنها جمعت هذه الدرر:**

★**الأُولى:** ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُۥنَ ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾.

شَبَّه [الله] لكم شَبها أيها الناس للكافر من عبيده، والمؤمن به منهم. فأما مَثَل الكافر؛ فإنه لا يعمل بطاعة الله، ولا يأتي خيرًا، ولا ينفق في شيء من سبيل الله ماله لغلبة خذلان الله عليه، كالعبد المملوك، الذي لا يقدر على شيء فينفقه.

وأما المؤمن بالله؛ فإنه يعمل بطاعة الله، وينفق في سبيله ماله، كالحُر الذي آتاه الله مالًا فهو ينفق منه سِرًّا وجهرًا ﴿هَلْ يَسْتَوُۥنَ﴾ يقول: هل يستوي العبد الذي لا يملك شيئًا ولا يقدر عليه، وهذا الحرّ الذي قد رزقه الله رزقًا حسنًا فهو ينفق كما وَصَف، فكذلك لا يستوي الكافر العامل بمعاصي الله المخالف أمره، والمؤمن العامل بطاعته.

★**الثانية:** ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ۖ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ ۙ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾﴾.

وهذا مثل ضربه الله تعالى لنفسه والآلهة التي تُعبد من دونه، فقال تعالى

ذكره: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ ﴾ يعني بذلك الصنم أنه لا يسمع شيئًا، ولا ينطق، لأنه إما خشب منحوت، وإما نحاس مصنوع لا يقدر على نفع لمن خدمه، ولا دفع ضرّ عنه وهو كَلٌّ على مولاه؛ (أي عالة وتعب وعبء) على [ولي أمره ومن يقوم به]، فكذلك الصنم كلٌّ (أي تعب وعبء) على من يعبده، يحتاج أن يحمله، ويضعه ويخدمه، كالأبكم من الناس الذي لا يقدر على شيء، فهو كَلّ على أوليائه ﴿أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ﴾ يقول: حيثما يوجهه لا يأت بخير، لأنه لا يفهم ما يُقال له، ولا يقدر أن يعبر عن نفسه ما يريد؛ فهو لا يفهم، ولا يُفْهَم عنه، فكذلك الصنم؛ لا يعقل ما يُقال له، فيأتمر لأمر من أمره، ولا ينطق فيأمر وينهي، يقول الله تعالى: ﴿ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ ﴾ يعني: هل يستوي هذا الأبكم الكلّ على مولاه الذي لا يأتي بخير حيث توجه، ومن هو ناطق متكلم يأمر بالحقّ ويدعو إليه وهو الله الواحد القهار، الذي يدعو عباده إلى توحيده وطاعته، يقول: لا يستوي هو تعالى ذكره، والصنم الذي صفته ما وصف.

وقوله: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ يقول: وهو مع أمره بالعدل، على طريق من الحقّ في دعائه إلى العدل، وأمره به مستقيم، لا يَعْوَجّ عن الحقّ ولا يزول عنه.

★الثالثة: ﴿ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ ﴾.

يقول تعالى ذكره: وأوفوا بميثاق الله إذا واثقتموه، وعقده إذا عاقدتموه، فأوجبتم به على أنفسكم حقًّا لمن عاقدتموه به وواثقتموه عليه، ﴿وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ يقول: ولا تخالفوا الأمر الذي تعاقدتم فيه الأيمان، يعني بعد ما شددتم الأيمان على أنفسكم، [فتنقضوا] أيمانكم وتكذبوا فيها وتنقضوها بعد إبرامها، يقال: وكَّد فلان يمينه يوكدها توكيدًا: إذا شددها. وقوله: ﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ يقول: وقد جعلتم الله بالوفاء بما تعاقدتم عليه على أنفسكم راعيًا يرعى الموفّي منكم بعهد الله الذي عاهد على الوفاء به والناقض.

[فهذه الآية تدل على] أن الله تعالى أمر عباده بالوفاء بعهوده التي يجعلونها على أنفسهم، ونهاهم عن نقض الأيمان بعد توكيدها على أنفسهم لآخرين بعقود تكون بينهم بحقّ مما لا يكرهه الله.

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: إن الله أيها الناس يعلم ما تفعلون في العهود التي تعاهدون الله من الوفاء بها والأحلاف والأيمان التي تؤكدونها على أنفسكم، أتبرُّون فيها أم تنقضونها وغير ذلك من أفعالكم، والله مُحصٍ ذلك كله عليكم، وهو مسائلكم عنها وعما عملتم فيها، يقول: فاحذروا الله أن تلقوه وقد خالفتم فيها أمره ونهيه، فتستوجبوا بذلك منه ما لا قِبَل لكم به [ولا طاقة لكم به] من أليم عقابه.

★الرابعة: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ... ﴿٩٦﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ولا تنقضوا عهودكم أيها الناس، وعقودكم التي عاقدتموها من عاقدتم مؤكّديها بأيمانكم، تطلبون بنقضكم ذلك عرضًا من الدنيا قليلًا، ولكن أوفوا بعهد الله الذي أمركم بالوفاء به، يثبكم الله على الوفاء به، فإن ما عند الله من الثواب لكم على الوفاء بذلك، هو خير لكم إن كنتم تعلمون، حيث فضَّل ما بين العِوَضين اللذين أحدهما الثمن القليل، الذي تشترون بنقض عهد الله في الدنيا، والآخر الثواب الجزيل في الآخرة على الوفاء به.

ثم بيَّن تعالى ذكره فرْق ما بين العِوَضين وفضل ما بين الثوابين، فقال: ما عندكم أيها الناس مما تتملكونه في الدنيا -وإن كَثُر- فنافدٌ فانٍ [يزول ولا يبقى]، وما عند الله لمن أوفى بعهده وأطاعه من الخيرات باقٍ غير فانٍ، فلِمَا عنده فاعملوا، وعلى الباقي الذي لا يفنى فاحرصوا.

# سُورَةُ الإِسْرَاءِ

**ومنها جمعت هاتين الدُّرَّتين:**

**★الأُولى:** ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴿١١﴾﴾.

يقول تعالى ذكره مذكّرًا عباده: ويدعو الإنسان على نفسه وولده وماله بالشرّ، فيقول: اللهمّ أهلكه والعنه [حيث يدعو بهذا الدعاء على ولده وغيره] عند ضجره وغضبه، كدعائه بالخير: يقول: كدعائه ربه بأن يهب له العافية، ويرزقه السلامة في نفسه وماله وولده، يقول: فلو استجيب له في دعائه على نفسه وماله وولده بالشرّ كما يستجاب له في الخير لهلك، ولكن الله بفضله لا يستجيب له في ذلك.

**★الثانية:** ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾﴾.

هذا مثل ضربه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى للممتنع من الإنفاق في الحقوق التي أوجبها في أموال ذوي الأموال، فجعله كالمشدودة يده إلى عنقه، الذي لا يقدر على الأخذ بها والإعطاء.

وإنما معنى الكلام: ولا تمسك يا محمد يدك بخلًا عن النفقة في حقوق الله، فلا تنفق فيها شيئًا إمساك المغلولة يده إلى عنقه، الذي لا يستطيع

بسطها ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾ يقول: ولا تبسطها بالعطاء كلّ البسط، فتَبقى لا شيء عندك، ولا تجد إذا سُئِلت شيئًا تعطيه سائلك ﴿فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ يقول: فتقعد يلومك سائلوك إذا لم تعطهم حين سألوك، وتلومك نفسك على الإسراع في مالك وذهابه، محسورًا: يقول: مَعِيبا، قد انقُطِع بك، لا شيء عندك تنفقه.

# سُورَةُ طه

**ومنها هذه الدرة:**

★﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ ﴾.

ولعل قائلًا أن يقول: وما وجه استخبار الله موسى عما في يده؟ ألم يكن عالمًا بأن الذي في يده عصا؟ قيل له: إن ذلك على غير الذي ذهبت إليه، وإنما قال ذلك عزَّ ذكره له إذا أراد أن يحوّلها حية تسعى، وهي خشبة، فنبهه عليها، وقرَّره بأنها خشبة يتوكأ عليها، ويهشّ بها على غنمه، ليعرّفه قُدرته على ما يشاء، وعظم سلطانه، ونفاذ أمره فيما أحبّ بتحويله إياها حيَّة تسعى، إذا أراد ذلك به ليجعل ذلك لموسى آية مع سائر آياته إلى فرعون وقومه.

# سُورَةُ غَافِرٍ

**ومنها هذه الدرة:**

★﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا... ﴿٥١﴾﴾.

يقول القائل: وما معنى ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا...﴾ وقد علمنا أن منهم من قتله أعداؤه، ومثَّلوا به، كيحيى بن زكريا [وأبيه زكريا] وأشباههما. ومنهم من همّ بقتله قومه، فكان أحسن أحواله أن يخلُص منهم حتى فارقهم ناجيًا بنفسه؛ كإبراهيم الذي هاجر إلى الشام من أرضه مفارقًا لقومه، وعيسى الذي رُفِع إلى السماء إذ أراد قومه قتله، فأين النصرة التي أخبرنا أنه ينصرها رسله، و المؤمنين به في الحياة الدنيا، وهؤلاء أنبياؤه قد نالهم من قومهم ما قد علمت، وما نُصروا على من نالهم بما نالهم به؟ قيل: إن لقوله: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ وجهين كلاهما صحيح معناه؛ أحدهما أن يكون معناه: إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا؛ إما بإعلائناهم على من كذّبنا وإظفارنا بهم؛ حتى يقهروهم غلبة، ويذلوهم بالظفر ذلة، كالذي فعل من ذلك بداود وسليمان، فأعطاهما من المُلْك والسلطان ما قهرا به كل كافر، وكالذي فعل بمحمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ بإظهاره على من كذّبه من قومه، وإما بانتقامنا ممن حادّهم وشاقهم بإهلاكهم وإنجاء الرسل ممن كذّبهم وعاداهم؛ كالذي فعل تعالى ذكره بنوح وقومه؛ من تغريق قومه وإنجائه منهم، وكالذي فعل

بموسى وفرعون وقومه؛ إذ أهلكهم غرقًا، ونجى موسى ومن آمن به من بني إسرائيل وغيرهم ونحو ذلك، أو بانتقامنا في الحياة الدنيا من مكذّبيهم بعد وفاة رسولنا من بعد مهلكهم؛ كفعلنا بقتلة يحيى؛ من تسليطنا بختنصر عليهم؛ حتى انتصرنا به من قتله له، وكانتصارنا لعيسى من مريدي قتله بالروم؛ حتى أهلكناهم بهم، فهذا أحد وجهيه. وقد كان بعض أهل التأويل يوجه معنى ذلك إلى هذا الوجه.

# سُورَةُ المُطَفِّفِينَ

**ومنها هذه الدرة:**

★﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦﴾.

يقول تعالى ذكره: الوادي الذي يسيل من صديد أهل جهنم في أسفلها للذين يُطَفِّفون، يعني: للذين ينقصون الناس، ويبخسونهم حقوقهم في مكاييلهم إذا كالوهم، أو موازينهم إذا وزنوا لهم عن الواجب لهم من الوفاء، وأصل ذلك من الشيء الطفيف، وهو القليل النـزر، والمطفّف: المقلّل حقّ صاحب الحقّ عما له من الوفاء والتمام في كيل أو وزن.

يقول تعالى ذكره: الذين إذا اكتالوا من الناس ما لهم قبلهم من حقّ، يستوفون لأنفسهم؛ فيكتالونه منهم وافيًا، وإذا هم كالوا للناس أو وزنوا لهم ينقصونهم، فيقول الله: ألا يظنّ هؤلاء المطففون الناس في مكاييلهم وموازينهم أنهم مبعوثون من قبورهم بعد مماتهم.

# المحتويات

المقدمة ..... ٧
من هو ابن جرير الطبري؟ ..... ٩
سورة الفاتحة ..... ١٤
سورة البقرة ..... ١٦
سورة آل عمران ..... ٢٨
سورة النساء ..... ٣٢
سورة المائدة ..... ٣٨
سورة الأنعام ..... ٤١
سورة الأعراف ..... ٤٣
سورة الأنفال ..... ٤٥
سورة يونس ..... ٤٧
سورة هود ..... ٤٩
سورة يوسف ..... ٥٠
سورة الرعد ..... ٥٢
سورة النحل ..... ٥٥
سورة الإسراء ..... ٥٩
سورة طه ..... ٦١
سورة غافر ..... ٦٢
سورة المطففين ..... ٦٤

# صدر للمؤلف

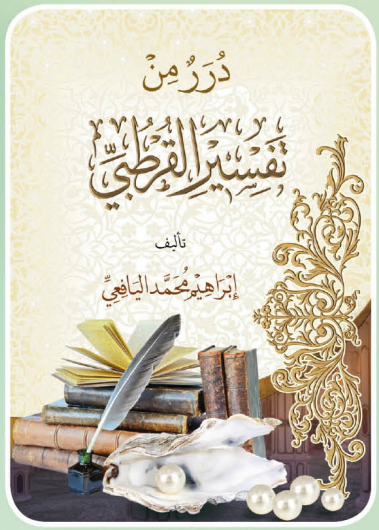



درر من
تفسير ابن كثير
إبراهيم محمد اليافعي

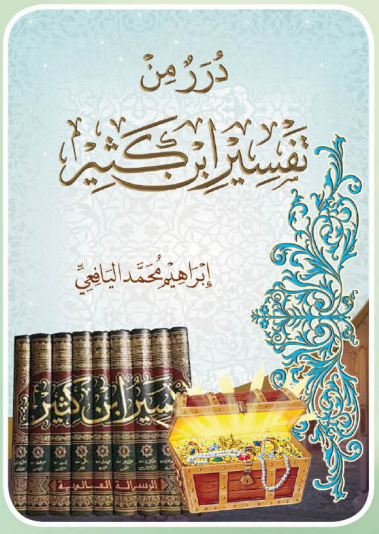




درر من
تفسير القرطبي
تأليف
إبراهيم محمد اليافعي

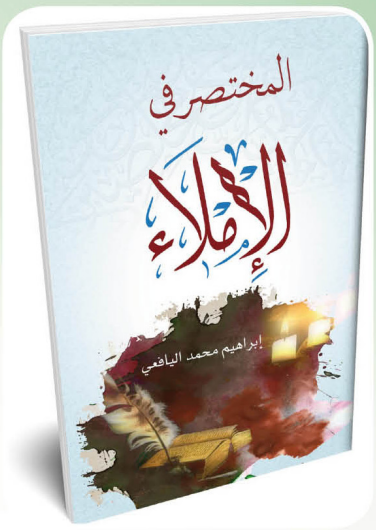




المختصر في
الإملاء
إبراهيم محمد اليافعي